

شبلې شمېل

١٨٥٣ - ١٩١٧

إن التقاء الشرق بالغرب واصطدام القديم بالحديث يبرز صورة مثالية لعالم يحمل المعول، لكنه في أعماق نفسه شرقي في كل شمائله وخصاله، أبي في انطباعات روحه، هذا واحد من الذين نزحوا من لبنان إلى مصر، لم يتصدر الزعامة الفكرية أول الأمر في القاهرة لكنه قصد « طنطا » وأقام فيها سنوات « طيبياً » هكذا كانت مهنته وقد أكمل دراسته في بيروت بالجامعة الأمريكية عام ١٨٧١ فهو زميل الدكتور يعقوب صروف ومن الدفعة الأولى في الكلية ثم سافر إلى فرنسا فأنتم دراسة الطب، ولما عاد منها مضى إلى « كفر شйма » مسقط رأس نصيف اليازجي الذي كان يتغنى به شبلې ثم جاء إلى مصر وأقام في طنطا حتى عام ١٧٩٥ وحينما انتقل إلى القاهرة نشرت « الهلال » أنه افتتح عيادة « بالغورية » في القاهرة والفقراء

يعالجون فيها مجاناً، على أنه في خلال عزلته بطنطا كان دائب الكتابة والنشر في « المقتطف » فقد أفسح له زميله صروف أن ينشر في مجلته وإن كان على خلاف معه بالرأى ولم يلبث شبلي أن أصدر كتابه « فلسفة النشوء والارتقاء وأصل الانواع ».

ويعد شبلي شميل رائد الدعوة للفكر المادى فى الشرق والعالم العربى، وأستاذ المدرسة التى سارت فى الطريق نفسه من بعده فرح انطون و اسماعيل مظهر وسلامة موسى وقد عرف شبلي شميل بحدة الذكاء وسرعة الخاطر كما عرف بالصراحة والارحية وسماحة النقد ولم تكن دراسته كما نعلم أساسا هى دراسة العلوم الطبيعية لكنه درس الطب ولما سافر إلى أوروبا تحولت نفسه ووقع الحادث الذى غير مجرى حياته فقد التقى هناك بأحد علماء المادية ذلك الذى استطاع أن يوجهه فى عنف نحو ذلك الطريق الذى جرى فيه والذي كان فيه جريئاً وحذراً فهو قد استطاع فى هذا الوقت المبكر أن يصطدم بعقائد الجماهير وأن يخالف معتقداتهم ومع ذلك لم يقع الصدام بينهم وبينه لأن خلافة فى الأساس كان قائماً مع معتقداته فى مجال الفكر المسيحى الغربى فإذا ما اتصل بالفكر العربى الإسلامى كانت له آراء غاية فى الاعتدال والانصاف وقد تحدث الدكتور شبلي شميل إلى بعض خاصته بأنه كان فى نشأته متديناً مبالغاً فى التدين ولم تطرأ عليه فكرة المادية الخالصة إلا بعد سفره إلى أوروبا حيث لقي أحد العلماء فقال له كلمة هدمت معتقداته وحرقته إل الوجهة التى أعجب بها وآثر أن يوليها قلمه

وعقله. وتمعلى آثار الدكتور شميل صورة نفسه، إنه رجل عاطفة يسبح على آرائه صورة العقل فهو أساماً يريد أن يكون حراً فى أن يقول ما يشاء لا تحول أية قوة دون هذه الحرية ولذلك فهو منصرف عن دنيا الناس وغاياتهم وعظمايهم لانه لا يريد أن يكون مستعبداً على أية صورة من الصور فقال: « إن طبعى يأبى التقرب من كل كبير إذا كان لهذا التقرب أى ضغط على حريتى فلايعنى أن أجلس مختاراً مجلس الخانع الصاغر لما يفتخر به عماد السلطة وهو فى الحقيقة امتهان للنفس وخداع للغير، والتأدب الصحيح هو إعطاء جليستك حقه من الاحترام مع رجولة تحفظ كرامتك فلا تجعل كلامك تأمناً على كل ما يقال ولا تجعل نفسك كالظل تتبع به حركات جليستك العظيم فى كل شىء تبتسم إذا ابتسم وتقوم إذا قام » لذلك لم أسمع فى حياتى كلها إلى التقرب من أى رجل عليه مسحة من المتمسكين بالآداب الزائفة ومن هنا كان تجافيه عن الرياء ومظاهر الابهة وتشوقه إلى الإعلاء من شأن العلم إعلاء القرن التاسع عشر له، فالفلسفة عنده ستصبح مبتذلة فى مستقبل الأيام والعالم الرياضى أقصر كلاماً « وأفصح بياناً » وأبسط اسلوباً من العالم اللغوى والعالم اللاهوتى.

ومن رأيه أن علوم اللغة صارت مماحكات لاطائل تحتها لا كلاماً وضع للتعبير عن الفكر والشعور، ترديداً لا إبداعاً فى وصف الحقائق والمحاماة.

وقد واجه الدكتور يعقوب صروف مفاهيم الدكتور الشميل بالمعارضة قائلاً إن هذا ليس مجاله الحقيقي وأنه لم يدرس هذه العلوم كما درسها صروف الذى كان يرى أن مثل هذا المسائل يجب أن تؤخذ بالحذر

وقال صروف إن خطته نشر الآراء الحقيقية الحديثة وكذلك عارض جرجى زيدان اتجاه الدكتور شبلى الشميل حين أثار إلى حملته على النظم الاجتماعية فى مقدمة كتابه « شرح نجتز على دارون » الذى ظهر عام ١٨٨٤ ودعوته لإقامة فلسفة الاجتماع على القوانين الطبيعية وقوله بذهاب الرئاسات فى الدين والسياسة ومساواة الناس فى مستقبل الايام وتوحيد اللغات توحيد الامم وقال زيدان إنها نظريات لاتخرج إلى حيز العمل لأن الإنسان مفطور على الدين ولا يعرف الإمتديناً فهو لا يتخلى عن دين الإليعتنق دينا آخر.

وأن الشميل أغرق فى المادية وأصبح لا يعبأ بغير المحسوسات ولا يرى للعلوم الأدبية كالتاريخ والأدب واللغة والشعر فائدة كبرى.

لكن هذا الوجه المتجهم للدكتور شمیل الذى كان قصيراً إلى الحد الذى جعل الكثيرين يعارضون بينه وبين ماينسب إلى دارون هذا من أن أصل الإنسان من فصيلة القروود والشميل كان إنساناً على جانب كبير من دمالة الخلق.
